Journal of Translation and Languages مجلة الترجمة واللغات
ISSN : 1112-3974

ترجمة الحجاج في القرآن الكريم
دراسة تداولية لترجمة "محمد حميد الله" لمعاني سورة الأنعام إلى اللغة الفرنسية

مريبعي سهيلة
جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله–الجزائر
Souhila.meribai@univ-alger2.dz

Abstract: *The Holy Qur'an is one of the heavenly books that have occupied thinkers and theorists since the dawn of human civilization, especially since the Qur'an is a rich material for studying inimitability, grammar, meanings, Al-Badi' and rhetoric. Since translation is concerned with the study of texts and their transfer into different languages, and after the development and ramifications of the science of translation in its specializations, the topic of translating the meanings of the Noble Qur'an was one of the studies that drew ink from many translators and researchers.*

This scientific paper examines the translation of argumentation and persuasion in the Surah Al-An'am because of its unique eloquence. The aim of this study is to address the extent to which the translator was able to convey these arguments to the reader in the French culture. That is why we will see how the translator was able to influence the views and behavior of the French interlocutors, and did he succeed in winning the hearts and directing the minds of the readers; We also address the extent to which translation approaches the meanings contained in the arguments of the Qur'an, and whether the translator was able to convey them faithfully in order to achieve persuasion.

Hamidullah's translation of the Qur'an is considered to be one of the most important French translations and the closest to the meanings of "The Quran" and fulfilled its purposes and goals. Hamidullah sometimes relied on the interpretive translation to be able to reach the required argumentation, and at other times he adheres to a close literal translation.

Hamidallah's translation was faithful, but it lacked the original French refinements, especially as we know that he relied in his translation on the old original copies in Qur'anic studies, going back to their manuscripts and deciphering them.

However, despite its accuracy, this translation lacks further explanations and commentary that a text as rugged as the Qur'an would require. It is not possible for the French reader to enter into the symbolic worlds of the Quran, and its stylistic variability as well as its cultural codes, only through the grace of elucidation and expansion. Hamidullah confined himself to the apparent meanings, and he may have neglected some of the signs and allusions involved in the verses, even though "the Qur'an is a carrier of faces."

***Key words**: The Noble Qur'an, argumentation, persuasion, Discourse, inimitability of Rhetorics, Translation.*

الملخص: نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى التطرق إلى مدى تمكن المترجم من نقل أسلوب الحجاج لما فيه من استدلال وإقناع وجدال ما يجعله كلاما معجزا الحجج إلى القارئ في الثقافة الفرنسية لغرض التأثير على آراءه وسلوكاته. وتُعدّ ترجمة حميد الله للقرآن من أهمّ الترجمات الفرنسية وأقربها إلى معاني "الكتاب" وأوفاها بأغراضه ومراميه معتمدا أحيانا على الترجمة التفسيرية ليستطيع أن يبلغ الأسلوب الحجاجي المطلوب وأحيانا أخرى يلتزم بالترجمة الحرفية اللصيقة.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم -الحجاج -الخطاب -الإعجاز البلاغة- الترجمة .

مقدمة

يعد القرآن الكريم من الكتب السماوية التي شغلت المفكرين والمنظرين منذ فجر الحضارة الإنسانية، لا سيما وأن القرآن مادة دسمة لدراسة الإعجازوالنحو والمعاني والبلاغة من بيان وبديع. ولما كانت الترجمة تهتم بدراسة النصوص ونقلها إلى لغات مختلفة، وبعدما ما عرفه علم الترجمة من تطور وتشعب في اختصاصاته، كان موضوع ترجمة معاني القرآن الكريم من الدراسات التي أسالت حبر الكثيرين من المترجمين والباحثين .

تبحث هذه الورقة العلمية ترجمة الحجاج في سورة الأنعام لما تحويه من بلاغة فريدة من نوعها وقد وقع اختيارنا على أسلوب الحجاج لما فيه من استدلال وإقناع وجدال ما يجعله كلاما معجزا. والهدف من هذه الدراسة هو التطرق إلى مدى تمكن المترجم من نقل هذه الحجج إلى القارئ في الثقافة الفرنسية؟

ولهذا سنرى كيف تمكن المترجم من التأثير على آراء المخاطب الفرنسي وسلوكاته، وهل نجح في استمالة نفوس وتوجيه عقول القراء؟ كما نتناول مدى اقتراب الترجمة من المعاني المتضمنة في حجج القرآن وهل استطاع المترجم نقلها نقلا أمينا من أجل تحقيق الإقناع؟

الحجاج في القرآن الكريم

لا شك أن القرآن الكريم يجذب من يسمعه أو من يقرأه لا سيما من يتقن اللغة العربية ولقد لقى أسلوب الخطاب القرآني اهتمام العرب منذ نزول الوحي على سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهم من يفاخرون ببلاغتهم وبديع كلامهم.

الخطاب القرآني

إن كل كلمة في القرآن الكريم لها وقع على النفوس، وكل عبارة فيه تجمع هذه الكلمات تصور لنا معنى كاملا دقيقا. والخطاب القرآني يشمل العديد من التوجيهات والنداءات التي تختص بالشمول، فلم يخاطب الله فئة دون أخرى أو فريقا دون فريق، بل كان موجها للناس أجمعين على تنوُّع أجناسهم وألسنتهم التي يتخاطبون بها وأديانهم التي يدينون بها.

وقد خاطب اللهُ سبحانه النَّاسَ بصيغة العموم في بعض آيات القرآن، وخاطب الأنبياء والمرسلين عليهم السلام في بعض آخر، وخاطب أصناف النَّاس من المؤمنين والكفار والمشركين، وأشار إلى المنافقين في آيات أخرى.

أما إذا عدنا إلى الجانب الخطابي، والذي خُوطب به الناس عامة، والمؤمنون خاصة، وجدنا أن القرآن يدعو إلى المَطالب العالِية، والفضائل السَّامِية، والدعوات الهادِية الموجهة إلى كل خير، والدعوة إلى هذه المطالب والفضائل والأخلاق والتشريعات في الأسلوب الخطابي القرآني، لا تقف أمام نوعٍ واحد أو صورة واحدة مِن صور الدعوة، بل إننا نرى أن من خصائص هذا القرآن البلاغية، أنه نوع بين أساليب الخطاب فيه للنفس البشرية.

لا يمكننا تصور مدى تميز أسلوب الخطاب القرآني إلا بالمعرفة الدقيقة لعلم البلاغة " فالإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خص الله به كتابه من حسن التأليف وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع؛ والاختصار اللطيف إلى غير ذلك من محاسنه؛ التي عجز الخلق عنها؛ لأن البلاغة تُعتبر من أهم وسائل إدراك الإعجاز القرآني، وذلك بأن يتمكن البليغ فيها ويتقنها ويفهم أساليبها وفنونها " (العسكري، ص: 167)

إن أسلوب الخطاب القرآني متكامل من جميع نواحيه، فهو قمة في بنائه؛ فتجد الكلمات متناسقة مترابطة ومفرداته متلائمة ومتكاملة، " فالكلام يقوم بأشياء ثلاثة لفظ حامل ومعنى به قائم وربط لهما ناظم، ثم إن القرآن هو الذي جمع نهايات الفضل في هذه العناصر الثلاثة، فإذا تأملته وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة؛ حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظما أحسن تأليفا؛ وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه، وأما المعاني فلا يخفى على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها والترقي إلى أعلى درجات الفضل في نعوتها وصفاتها " (أبو موسى، ص: 53)

فأسلوب الخطاب القرآني معجز من خلال عباراته الدالة على الحقيقة؛ والمجاز المعبر بأساليب التشبيه؛ والاستعارة؛ والكناية. أما الأسلوب فقد يكون لين إذا أراده الله كذلك، وعنيف قاصف إن أراده ذلك.

فمَن تأمَّلَ الخطابَ القرآنيَّ في أسلوبه وبلاغته، وفي تصريفه وتنويعه، استبانَ له وجهٌ بديعٌ مِن أَوجُه الإعجازِ القرآنيّ، وخَصِيصَةٌ مِن خصائصه الأكيدة، وبيانُ ذلك في شمولية الخطاب القرآني لجميع أصناف المخاطَبين، على اختلاف أجناسهم، وأمكنتهم، ومللهم.

البلاغة والحجاج في القرآن

يعتبر الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم وجها من الوجوه الإعجازية التي وقع عليها إجماع الأمة. فقد تحدى القرآن كل العرب المتضلعين في ميدان الفصاحة أن يأتوا بسورة من مثله فما استطاعوا. وكانت بلاغته سببا في دخول العديد منهم في الإسلام. فدل ذلك على شرفه وعلو مكانته في الفصاحة والبيان.

ومن خصائص الخطاب القرآني اعتماده على أسلوب الحجاج الذي يعتمد على التفكير العقلي والبرهان والحجة لرد الرأي برأي أقوى منه والحجة بحجة أبلغ منها، "قل فلله الحجة البالغة."(الأنعام 149)

فقد توافر في النص القرآني من المعطيات ما يجعله خطابا حجاجيا وذلك لاحتوائه على الحجاج البلاغي والذي يتخذ من البلاغة مجالا له أو أنه يتخذ البلاغة آلية من آليات الحجاج وذلك لاعتمادها على الاستمالة والتأثير في النفوس عن طريق الصور البيانية والأساليب الجمالية وذلك من خلال إقناع المتلقي عن طريق دغدغة مشاعره وعواطفه وأحاسيسه. والحجاج كما جاء في المعجم الفلسفي: "يقوم على جمع الحجج لإثبات رأي وإبطاله والمحاجة طريقة تقديم الحجج والإفادة منها.» (مذكور،1983: 81)

فالحجاج استراتيجية لغوية تكتسب بعدها من الأحوال المصاحبة للخطاب .والحجاج هو بديل العنف في نظرية الحجاج إذ يمكن حسب بيرلمان أن نسعى إلى تحقيق النتيجة نفسها باعتماد إحدى الوسيلتين: العنف أو الخطاب الإقناعي وغني عن القول أنن القرآن الكريم من هذه الناحية حجاج صرف، لا لكونه خطابا خواريا ولكن لكونه يدعو بصريح اللفظ إلى نبذ العنف في شأن الإيمان وهو ما يقتضي أنه حوار وحجاج"(عمران،2012:27)

أما إذا عدنا إلى الحجاج من الناحية التداولية والتي تدرس المنجز اللغوي في إطار الواصل وليس بمعزل عنه لأن اللغة لا تؤدي وظيفتها إلا فيه فهي ليست وظائف مجردة وبالتالي فإن الناتج الدلالي كقيمة للملفوظ لا تتحكم فيه اللغة بقدر ما يتحكم فيه مستعملوها.

واللغة العربية تشمل على أساليب تداولية ولغوية تؤدي دورا وظيفيا يساعد على استعمالها وتسخيرها في الخطاب مثل الاستفهام والشرط والتكرار والتوكيد. وهذه هي الأساليب التي ستقوم عليها الدراسة التداولية في ترجمة أسلوب الحجاج في سورة الأنعام

ترجمة معاني القرآن الكريم

لطالما كانت الفرضية القائلة بإمكانية ترجمة القرآن من عدمه قائمة ولكن أصبح من نافلة القول إنه صحيح من المستحيل ترجمة القرآن الكريم كنص وكتاب منزل إلا أنه يمكننا ترجمة معانيه والدليل على ذلك تمكن الكثير من الناس في مجتمعات غير عربية من دراسة الدين الإسلامي وفهم القرآن والتي أدى بعدها لانتشار الاسلام وإسلام الكثير منهم بفضل الترجمة وبالتالي علينا أن ننتبه أنه من المستحيل انتقال بلاغة القرآن إلى المخاطب عبر ترجمة القرآن باللغة الفرنسية أو غيرها من اللغات ولكن يمكننا ترجمة معانيه.

وتعد قضية ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية من الأسس الرئيسة لإيصال رسالة الإسلام لغير الناطقين بها لكن ترجمة معاني القرآن الكريم تتطلب مترجم كفء في اللغة العربية وخصائصها إضافة إلى إلمامه بكامل أسرار البلاغة دون أن ننسى فهم القرآن بتفاسيره.

وقال ابو الفضل بهرام بور، خلال حديث خاص مع وكالة الأنباء القرآنية العالمية: "إنّ القرآن الكريم كتابٌ أنزل للعالمين أجمعين وإذا أردنا أن نقدم الإسلام إلى العالَم كله, يجب أن تكون وثيقة الإسلام الأولي أي القرآن ,قابلةً للترجمة إلى اللغات الأخرى. " وأوضح: "إذا ترجم القرآن إلى أي لغة أخري ,لا توجد فيه سلاسة اللغة العربية وصناعة القرآن الكريم الذي خاطب الله فيه الإنسان, لا يمكن انتقاله. لكن الأهم هو فحوى القرآن الذي يمكن انتقاله.» (إصلاحي ،1999: 263). وتطرح ترجمة القرآن الكريم إضافة هذا الجانب من الإعجاز تحديات جمة وإشكاليات كبيرة ويرجع ذلك أمران:

- **نظمه الفريد**، الذي يجعل اللغة الهدف عاجزة عن نقل خصائصه البلاغية في مستوياتها: الصوتية والتركيبية والدلالية والمعجمية والتداولية وفي علومها الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع.
- **بلاغة النص القرآني واللغة العربية** التي تختلف تماما عن ثقافة اللغة الهدف في آليات الخطاب ومقتضياته التداولية وخصوصياته الاجتماعية.

أساليب ترجمة القرآن

تختلف أساليب ترجمة معاني القرآن الكريم عن أساليب ترجمة نص آخر من النصوص وذلك لخصوصياته ويمكن تقسيم هذه الأساليب إلى نوعين هما:

الترجمة الحرفية

وهي نقل الكلام من اللغة العربية إلى لغة أخرى مع مراعاة ترتيب الكلمات والحفاظ على معاني الكلمات المترجمة وهي ما يسمى بالترجمة تحت اللفظية والتي تحدث في أغلب تشويشا في فهم المراد أو تشويها في المعنى، وربما خيانة للكلام المراد قوله، لان المترجم بهذا النمط انما يحاول المحافظة على أسلوب الكلام الأصل في نظمه وميزاته البلاغية، ليأتي بكلام يماثله تماما في النظم والأسلوب، الأمر الذي لا يمكن أن يحدث أبدا باعتبار اختلاف اللغات في أساليب البلاغة والمجاز، وهذا النوع يقسم إلى قسمين هما :

- **الترجمة بالمثل** :وهو ترجمة النص القرآني كلمة بكلمة، وذلك بوضع كل كلمة مقابل الأخرى مع الالتزام بالأساليب والمعاني، ولكن هذه الطريقة لا تصح في ترجمة القرآن لأنها تؤدي إلى تغيير الكثير من المعاني.
- **الترجمة بغير المثل** :أي أن يتم ترجمة النص بحسب قدرة واستطاعة المترجم وفهمه للغة العربية، وهذه الطريقة لا تصح لأن فيه إهداراً لنظم القرآن وضياعاً لمعانيه، كما أنّ هذه الطريقة لا توصل المعنى الصحيح أو المراد من آيات القرآن.

الترجمة التفسيرية

وتتم بشرح الآيات القرآنية وبيان معانيها بلغة أخرى، وذلك دون مراعاة النظم للكلمات، ودون المحافظة على جميع المعاني، مع إيصال المعنى المطلوب من الآيات .إذ كانت الترجمة نوعا من التفسير والايضاح بلغة أخرى في إيجاز وافيا، وبالأحرى هي إفراغ المعنى من قالب إلى قالب آخر للكشف هن المراد من القول، بالنسبة إلى اللغة المترجم اليها، فلابد أن يعمد المترجم إلى تبديل قوالب لفظية إلى نظيراتها من غير لغتها، بشرط الوفاء بالمراد قوله. وقد تفوت بمزايا الكلام الأصل اللفظية، وهذا لا يضر مادامت سلامة المعنى محفوظة. وهذا

النمط من الترجمة هو النمط الأوفى والمنهج الصحيح الذي اعتمده المترجمون، فيقدمون ويؤخرون، وينظمون الترجمة حسب أساليب اللغة المترجم اليها، كما لا يزيدون بكثير على مثال الألفاظ والتعابير التي جات في الأصل فإن حصلت زيادة معتبرة فتعتبر من الشرح والتفسير، وليس من الترجمة المصطلحة أبدا.

دراسة تحليلية لترجمات الحجاج في سورة الأنعام

تعتمد دراستنا على الدراسة التحليلية التي تعد من أهم المناهج المستخدمة في البحث العلمي إذ يهدف لعقد المقارنات بين الظواهر واستنتاج أوجه التشابه والاختلاف واعتمدنا على هذا المنهج من أجل تحديد الدلالات اللغوية والتداولية والسياقية للحجج القرآنية ثم مقارنة الأصل بالترجمة حتى نتمكن من أن نستخلص مدى تمكن المترجم من نقل هذه الحجج إلى القارئ في الثقافة الفرنسية. وإلى أي مدى تمكن من نقل معاني الألفاظ وسياقاتها.

التعريف بسورة الأنعام

يدور محور سورة الأنعام حول "العقيدة وأصول الإيمان" وهي تأخذ بمجامع النفس البشرية وتخاطب الفطرة الانسانية وتحاججها بأدلة عقلية وعلى الرغم من طولها إلا أنها تخلو من قصص الأنبياء، والصالحين كما في السور المكية الطويلة، سوى قصة قصيرة لآزر والد إبراهيم التي لا تتجاوز النصف صفحة، ولم تعرض لشيءٍ من الأحكام التنظيمية لجماعة المسلمين، كما أنها لم تذكر أمور القتال ومحاربة الخارجين على دعوة الإسلام، كما لم تتحدث عن أهل الكتاب من اليهود، والنّصارى، ولا على المنافقين، وإنما تناولت القضايا الكبرى الأساسية لأصول العقيدة والإيمان.

التعريف بالمترجم محمد حميد الله الحيدر آبادي (1908 – 2002)

يعتبر محمد حميد الله من أهم أعلام الثقافة العربية الإسلامية في عصرنا هذا، وهو أول مسلم يترجم كتاب الله عز وجل إلى اللغة الفرنسية، بعدما كانت ترجمته تقتصر فقط على بعض رجال الدين الفرنسيين وبعض المستشرقين الذين عرفت ترجماتهم بالتشويه والتحريف.

محمد حميد الله لم يكن لا عربيا ولا فرنسيا، بل واحد من كبار علماء ودعاة الهند (شكيب، دت: 19). وهو حاصل على شهادة دكتوراه في الفلسفة، وكذا دكتوراه في السيرة النبوية من

جامعتين مختلفتين أحداهما من جامعة باريس والأخرى من جامعة توبنجن بألمانيا. قضى ما يقرب من نصف عمره بالبحث والتحقيق في أوروبا ودول الشرق الأوسط .كاتب غزير الإنتاج، وله العديد من الدراسات الأكاديمية والأعمال الواسعة في العلوم الإسلامية والتاريخ والثقافة غير المسبوقة في القرن الماضي.

وكان يتكلم مع علماء الغرب وباحثيه الدعاة والمستشرقين العنيدين بلغتهم وأسلوبهم. وبجانب تضلعه باللغات الأردية والفارسية والعربية والإنجليزية بصفتها لغات أهلية له، كان يتقن أو يلم باللغات الفرنسية والألمانية، والأطالوية والتركية والروسية. وقد نشر دراساته بعدة لغات إضافة إلى آلاف المقالات في المجلات العلمية، كما قام بترجمة القرآن الكريم للعديد من اللغات الأخرى. وله مؤلفات قيمة بهذه اللغات يبلغ عددها أكثر من 250 كتاباً. . وقد اشتهرت ترجمة حميد الله، وانتشرتْ بين المسلمين الناطقين بالفرنسية في فرنسا وكندا وغرب إفريقيا، ثم اعتمدها مجمعُ فهد لطباعة المصحف الشريف، وطبَعها بأعداد وفيرة.

أسلم على يديه أكثر من ثلاثين ألف فرنسي، حتى قال بعض المترجمين له: إنه أسلم على يديه نحو خمسين ألفًا من الفرنسيين، من بينهم بعض المفكرين والمثقفين الذين لمعت أسماؤهم على المستوى العالمي، ومن الذين ألّفوا في موضوع الكتاب المقدس والقرآن الكريم والعلم ما أقنع الإنسان العصري بأن أياً من مقولات القرآن لا يتصادم مع أي نظرية علمية حديثة. (شيخ، 2003: 103-104.)

عُرض عليه الترشح لجائزة الملك فيصل رفض بشدة، وقال: "أنا لم أكتب ما كتبت إلا من أجل الله عز وجل، فلا تفسدوا على ديني".

غادر حميد الله فرنسا بعد أن أرهقته السنين، واستنزف عمله البحث العلمي الدائب والعمل الدائم لخدمة الإسلام، متجها إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليقيم مع حفيدته هناك حتى رحل عن هذه الدنيا، بولاية فلوريدا الأميركية عام 2002.

ومن مآثره الكبيرة ترجمة معاني القرآن بالفرنسية وإعداد كتاب حافل بالفرنسية في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في مجلدين.

الدراسة التحليلية لنماذج من سورة الأنعام

المثال الأول: (الاستفهام الإنكاري)

"وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ." (74)

"**Et (Rappelle le moment) où Abraham dit à son père Azar: "Prends-tu des idoles comme divinités ? Je te vois, toi et ton peuple, dans un égarement manifeste !74 "**

المقصود بالآية هو وعظ سيدنا ابراهيم أباه في عبادة الأصنام، وزجره عنها، ونهاه فلم ينت إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة (أي: أتتألله لصنم تعبده من دون الله) إني أراك وقومك) في ضلال مبين (أي: تائهين لا يهتدون أين يسلكون، بل في حيرة وجهل وأمركم في الجهالة والضلال بين واضح لكل ذي عقل صحيح.

وجاء هذا الوعظ على شكل استفهام انكاري وهذا النوع من الاستفهام ليس غرضه السؤال وإنما نكران واستهجان ما يحدث وإنكاريته تخيب أفق انتظار المتلقي وفي حالتنا هذه تخيب ظن إبراهيم والهدف منه تنبيه آزر، كما يحمل استهزاء بعقول المظللين عند نكرانهم بأمور واضحة وهو يضعف موقفه. وغرضه هنا النهي.

أما إذا عدنا إلى ترجمة حميد الله للأسلوب الانكاري الذي ترجم "أتتخذ" نلاحظ ان المترجم عمد الى الحرفية في ترجمته لكل اللآية حيث نجد أنه لم يجتهد في الاتيان بأسلوب أكثر اقناعا وحجة بما يتوافق ولغة القرآن الكريم واعطى المقابل الأول في القاموس prends-tu في حين انه كان بإمكانه ان يستعمل فعل adopterالأقرب إلى القارئ الفرنسي والأنسب للغة الفرنسية، وعليه يجب أن تكون اللغة المنقول إليها سلسة وعذبة، وميسرا فهمها للجميع، دون تعقيد أو تشدق في التعبير الذي قد لا يساعد على فهم الترجمة واستيعاب المعنى.

كما أن بلاغة الأسلوب الإنكاري لم تظهر في النص المترجم وهو ما أفقد حجة القائل بعض الشيء.

المثال الثاني: (التوكيد)

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (37)

Et ils disent : "Pourquoi n'a-t-on pas fait descendre sur lui (Mohammad) un miracle de la part de son Seigneur ?" Dis : "Certes, Allah est capable de faire descendre un miracle. Mais la plupart d'entre eux ne savent pas."37

وردت الآية مخاطبة العرب بأسلوبهم وطريقتهم ومعنى الآية أن الله تعالى قادر على إنزال معجزة، ولكن حكمته تعالى تقتضي تأخير ذلك ; لأنه لو أنزلها وفق ما طلبوا ثم لم يؤمنوا، لعاجلهم بالعقوبة، كما فعل بالأمم السالفة. وجاءت الآية مشتملة على أداة التوكيد فهذا يعني أن هناك اسئلة يطرحها المخاطب اما تكون اسئلة مباشرة من خلال الحوار أو من خلال افتراض وجود سؤال من لدن المخاطب فليس بالضرورة يكون السؤال منطوقا

هذا ما جاء في النص القرآني أما بالنسبة لحميد الله المترجم فقد جعل السؤال ظاهرا من خلال ترجمته للتوكيد وبالتالي فقد أحدث تغييرا جذريا في بنية الجملة ونجده هنا قد اعتمد على الترجمة التفسيرية لأنه لم يستطع نقل البلاغة العربية إلى الثقافة الفرنسية أو بالأحرى فاللغة الفرنسية لا تحمل هذه الشحنة البلاغية الموجودة في اللغة العربية ولا يمكن اعتبار الترجمة بعيدة عن المعنى بالعكس فترجمته الشارحة هذه قد أدت المعنى رغم ابتعادها أن جمالية المبنى.

وكون الترجمة التفسيرية لا تهدف إلى محاكاة النص الأصلي للقرآن الكريم بقدر ما هي تصوير للمعاني المقصودة، وذلك بأن يحاول المترجم فهم النص فهما كاملا في أصله العربي، سواء كان المعنى حقيقيا أم مجازيا متبعا في ذلك أصول التفسير وقواعده للوصول إلى مبتغاه.

المثال الثالث: (التكرار)

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78)

Quand la nuit l'enveloppa, il observa une étoile, et dit : "Voilà mon Seigneur !" Puis, lorsqu'elle disparut, il dit : "Je n'aime pas les choses qui disparaissent." 76
Lorsqu'ensuite il observa la lune se levant, il dit : "Voilà mon Seigneur !" Puis, lorsqu'elle disparut, il dit : "Si mon Seigneur ne me guide pas, je serai certes du nombre des gens égarés.77
Lorsqu'ensuite il observa le soleil levant, il dit : "Voilà mon Seigneur ! Celui-ci est plus grand" Puis lorsque le soleil disparut, il dit : "Ô mon peuple ! Je désavoue tout ce que vous associez à Allah.78

تتحدث الآية عن مناجاة ابراهيم لخالقه ومحاولته لمعرفة هذا الخالق من خلال التمعن في الكون وعظمته. وتحمل هذه الآية ايقاعا فريدا باعتبار أنها تحمل الكثير من التكرار داخل الآية الواحدة هذا التكرار الذي يحمل فعلا حجاجيا بلاغيا على المتلقي. كما تبرز أهميته الكبيرة في عملية الحجاج، لأنه لا يعد من الحجج والبراهين السياقية التي يرد فيها لكنه رافدا أساسيا لها، حيث يوفر التكرار طاقة حجاجية تحدث أثرا في المتلقي فالتكرار ظاهرة لغوية مقامية تتصل بمقاصد المتكلم وسياق الكلام.

وتكرار الجملة فيجعل النص متلاحما ويزيد من تماسك النص وقد تكررت جملة "قال هذا ربي" للتأكيد على ضرورة البحث عن الإله المستحق للعبادة والثناء وهو تأكيد أيضا على صبر سيدنا ابراهيم.

أما ترجمة حميد الله فجاءت تتسم بالحرفية وهي الملائمة في هذا المقام فقد احتفظ بالتكرار على الرغم من عدم تحبيذه في اللغة الفرنسية إلا أنه لم يكن لديه خيار آخر وكان عليه أن ينقل الصورة كما هي، وبالتلي فتبقى ترجمة حيد الله ملتصقة بالنص الأصلي.

المثال الرابع: (الشرط)

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7)

Même si Nous avions fait descendre sur toi (Mohammad) un Livre en papier qu'ils pouvaient toucher de leurs mains, ceux qui ne croient pas auraient certainement dit : "Ce n'est que de la magie évidente !"7

هذا إخبار من الله لرسوله عن شدة عناد الكافرين، وأنه ليس تكذيبهم لقصور فيما جئتهم به، ولا لجهل منهم بذلك، وإنما ذلك ظلم وبغي، لا حيلة لكم فيه، فقال :وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِم وتيقنوه لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ظلما وعلوا إِنْ هَذَا إِلَّا سحر مُبِينٌ فأي بينة أعظم من هذه البينة، وهذا قولهم الشنيع فيها، حيث كابروا المحسوس الذي لا يمكن مَن له أدنى مسكة مِن عقل دفعه؟"

هذه الآية تمثل بنية حجاجية باعتبار أنها تتضمن أسلوب الشرط فحروف الشرط (لو... لـ) دليل على ذلك واستعمالها يكون من أجل إبراز الحجة التي لا تسمح للخصم باستمرارية الجدال لتصبح بعد ذلك حجة قاطعة على فساد دعواهم ومزاعمهم.

أما الترجمة الفرنسية لحميد الله فجاءت ترجمة حرفية لصيقة تكاد لا تترك ولا كلمة إلا وذكرت مقابلاتها مما يفقد من أسلوب جمالية اللغة الفرنسية حيث أن ترجمة حميد الله حرفية لصيقة جدا بالنص، لا يفهمها من كان غريبا عن الثقافة الإسلامية. وعليه على قارئ القرآن المترجم أن يأخذ دائما بالنصوص الموازية التي تساعده على الفهم والشرح.

نتائج الدراسة

كانت ترجمة حميد الله أمينة، لكن كانت غائبة عنها المحسنات البديعية الفرنسية. لذلك، تُعدّ ترجمة حميد الله للقرآن من أهمّ الترجمات الفرنسية وأقربها إلى معاني "الكتاب" وأوفاها بأغراضه ومراميه. خاصة ونحن نعلم أنه قد اعتمد في ترجمته ودراساته القرآنية على النسخ الأصلية القديمة، يعود إلى صحائفها ويفكُّ شفراتها، ومن ذلك اشتغاله على نُسخ مصحف عثمانَ وغيرها من المصاحف القديمة في طشقند وإسطنبول والهند.

كان حميد الله يعتمد أحيانا على الترجمة التفسيرية ليستطيع أن يبلغ الأسلوب الحجاجي المطلوب وأحيانا أخرى يلتزم بالترجمة الحرفية اللصيقة التي كانت تذهب المعنى أخيانا.

إلا أنَّ هذه الترجمة، على دقّتها، تفتقر إلى مزيد من الشروح والتعليقات التي يتطلّبها نص وعرٌ مثل القرآن. ولا يمكن للقارئ الفرنسي أن يلج إلى عوالمه الرمزية ويستسيغ وسائِله الأسلوبية وشفراته الثقافية إلّا عبر فضلٍ من البيان والتوسُّع. كما أنَّه اقتصر فيها على المعاني الظاهرة، وقد يكون أهمل بعضاً من الإشارات والإيحاءات المنطوية في الآيات، مع أنَّ "القرآن حمَّال وجوهٍ."

الخاتمة

- ضرورة وقوف المترجم على أسرار لغة القرآن الكريم، واستيعاب خصائصها وأساليبها، وتذوق مواطن الإعجاز الكامنة في آياته.
- إذا كانت الألفاظ القرآنية مشتركة أو متعددة المعاني – وقد سبق أن عرضنا بعض أمثلة ذلك – وجب على المترجم اختيار المعنى الأكثر شهرة والقرب إلى قول الجمهور من المفسرين، مع الإشارة بالبيان والإيضاح إلى باقي المعاني، إشعارا للقارئ باحتمال كل تلك المعاني للمراد من اللفظ القرآني.
- يجب على المترجم بالإضافة إلى إتقانه للغتين العربية والمنقول إليها الإحاطة بعلم التفسير وقواعده، وإدراك العلوم التي يتوقف عليها ذلك مما قرره العلماء.
- يجب تعزيز ترجمة معاني القرآن الكريم بإيضاحات وبيانات تضاف بالهوامش، تتعلق بذكر بعض أسباب نزول الآي ذات البعد التفسيري البياني، وكذا توضيح الناسخ والمنسوخ، وبيان الأحكام الفقهية الأساسية بإيجاز واقتضاب، مع اختيار الآراء التي وافق عليها الجمهور، والبعد عن الخلافات المذهبية.
- إذ أن كل محاولة من محاولات الترجمة التي ظهرت لحد الآن ما فتئت تثير تساؤلات وملاحظات المختصين.
- من هنا جاءت دعوة كثير من المهتمين بضرورة النهوض "بمشروع الترجمة" على مستوى جماعي نظرا لما يعتور الترجمات الفردية من نقائص وعيوب تخل بجلالة وسمو معاني القرآن الكريم.
- وهناك من يدعو كذلك إلى عدم ترجمة القرآن، وإنما الذي يترجم هو تفسير موجز واضح يتم اختياره لترجمته، فيسمى "ترجمة لتفسير القرآن."
- ويجب التنبيه إلى أن ترجمات المستشرقين لا تكاد تسلم في مجملها من الهنات والنواقص التي ترجع إلى بعدهم عن تذوق الأسلوب العربي بصفة عامة، وأسلوب القرآن البديع بصفة خاصة.
- أما ترجمات المسلمين فهي أقل وقوعا في ذلك من غيرها، وإن ثبت إقدام الكثير منها – ممن لا تخصص لهم في ميدان الإسلاميات – على ترجمة القرآن الكريم، لا لشيء إلا لكونهم يتقنون إلى حد ما اللغتين العربية والمنقول إليها.

قائمة المصادر والمراجع

[1] القرآن الكريم

[2] أبو موسى، محمد محمد (1997) الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الثانية.

[3] الأصفهاني، أبو القاسم الراغب(1997م) معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى.

[4] إصلاحي، ضياء الدين(دت) «آه فاضل كرامي د. محمد حميد الله» نقلاً عن كتاب «محمد حميد الله» لـ محمد راشد.

[5] الرفاعي، مصطفى صادق(دت) إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العربي بيروت.

[6] الزركشي، بدرالدين(1972م) البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية صيدا بيروت.

[7] السيوطي جلال الدين(1978م) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، مطبعة مصطفى البابي مصر، الطبعة الرابعة.

[8] شيخ / محمد نجيب(2003م) «د. محمد حميد الله»، مطابع الميزان، فيصل الآباد، باكستان.

[9] العسكري، أبي هلال (1986م) الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت لبنان.

[10] فاروق، لطف الرحمان(2003م) (د. محمد حميد الله باحثاً نادراً)»، مجلة دعوة، اسلام آباد، العدد الخاص بالدكتور محمد حميد الله.

[11] مذكور، إبراهيم(1983م) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة.